

مناهل العرفان في علوم القرآن

قد جاء ردا على من أنكروا النسخ وعابوا به الإسلام ونبي الإسلام بدليل قوله سبحانه قبل هذه الآية وإذا بدلنا آية مكان آية وإنا أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ومعلوم أن روح القدس إنما ينزل بالقرآن وإذن فلا ينسخ القرآن إلا بقرآن .
وننقص هذه الاستدلال بأن الكتاب والسنة كلاهما وحي من الله وكلاهما نزل به روح القدس بدليل قوله سبحانه وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فالذهاب إلى أن ما ينزل به روح القدس هو خصوص القرآن باطل .

دليلهم الرابع أن الله تعالى يقول وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا آت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقائي نفسي وهذا يفيد أن السنة لا تنسخ القرآن لأنها تابعة من نفس الرسول .
وندفع هذا الاستدلال بمثل ما دفعنا به سابقه وهو أن السنة ليست تابعة من نفس الرسول على أنها هوى منه وشهوة بل معانيها موحاة من الله تعالى إليه وكل ما استقل به الرسول أنه عبر عنها بالفاظ من عنده فهي وحي يوحى وليست من تلقاء نفسه على هذا الاعتبار وإذن فليس نسخ القرآن بها تبديلا له من تلقاء نفسه إنما هو تبديل يوحى .
دليلهم الخامس أن آية ما ننسخ من آية أو ننسها تدل على امتناع نسخ القرآن بالسنة من وجوه ثلاثة أولها أن الله تعالى قال نأت بخير منها أو مثلها والسنة ليست خيرا من القرآن ولا مثله .

ثانيها أن وقوله نأت يفيد أن الآتي هو الله والسنة لم يأت بها الله إنما الذي أتى بها رسوله .
ثالثها أن قوله ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يفيد أن النسخ لا يصدر إلا عن له الاقتدار الشامل والملك الكامل والسلطان المطلق وهو الله وحده .

وندفع الوجه الأول من هذا الاستدلال بأن النسخ في الآية الكريمة أعم من أن يكون في الأحكام أو في التلاوة والخيرية والمثلية أعم من أن تكونا في المصلحة أو في الثواب وقد سبق بيان ذلك وإذن فقد تكون السنة الناسخة خيرا من القرآن المنسوخ من هذه الناحية وإن كان القرآن خيرا من السنة من ناحية امتيازها بخصائصه العليا دائما .

وندفع الوجه الثاني بأن السنة وحي من الله وما الرسول إلا مبلغ ومعبّر عنها فقط فالآتي بها على الحقيقة هو الله وحده

